بلير هاوس تعيد الينا السادات ، وهو الذي يعلن كل يوم ، كمذيع ثرثار في راديو الجيران ، انه قطع اكثر من تسعين في المائة من طريق الصلح مع اسرائيل ، ووصل الى نقطة اللاعودة ؟٠

انه يقف ، او يريد ان يوقفنا ، امام اكداس من التفاصيل ٠ الربط ٠٠ الربط ٠ مرة ربط الضفة الغربية وقطاع غزة بالمعاهدة ٠ ومرة ربط غزة وحدها ٠ وفي كل انواع الربط التي تفترض غياب الارادة الفلسطينية ، لا معنى للربط الا محاولة ربط الجميع بعربة المعاهدة ، لكي لا يكون الاستسلام جزئيا ٠ ولكي تكون هزيمة حاكم واحد تعبيرا عن هزيمة امة ٠

ان كل هذه المباراة الدائرة في واشنطن لا تغير طبيعة ما يجري ، واتجاه المسار الذي توغلت فيه السياسة المصرية في تحولها الى اداة في الاستراتيجية الاميركية ٠ هل بقيت هنالك حاجة للبرهنة على ان عودة سيناء لا تجري ضمن عملية السلام الذي لا يستطيع الاحتفاظ بماهيته الا اذا تاسس على الشرط الفلسطيني؟ لان اية عملية لصياغة السلام في الشرق الاوسط ستحمل طبيعة نفي السلام اذا لم يتح لمحور الصراع على هذه الارض امكانية التعبير عن شروطه ٠

واكثر من ذلك ، ان سيناء لا تعود ايضا ضمن عملية التسوية السياسية التي من شروطها ان تعكس توازن القوى بين اطراف الصراع العربي ـ الاسرائيلي ، لان حجم الهزيمة السياسية والحضارية الذي يتقدم به السادات ، مفاوضا ، اكبر بكثير من حقائق القوى على ارض الصراع ، هذه الحقائق التي تتيح للعرب حدا ادنى من تحقيق مطالبهم : الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة ٠

ما حدث طيلة عام كامل من عمر الزيارة المعبرة عن محصلة انعطاف في الدور المصري في ادارة الصراع يتجاوز ، اذن ، شروط السلام الكامل ، وفي مقدمتها مفهوم السلام الفلسطيني ، ويتجاوز ايضا شروط التسوية السياسية ، ليضع السياسة المصرية في صف التصدي لمقومات الحياة العربية ٠ ان الاسرائيليين ، انفسهم ، اقل اندفاعا من السادات نحو التفاؤل ، فاذا تجاوزنا مظاهر البكاء اليهودي التقليدي ، والذكريات الحقيرة التي اقاموها مع مستوطنات سيناء ، لادركنا انهم لا يعتبرون ما يجري عملية لاحلال السلام ٠ انهم يسمونه سلاما جزئيا مع مصر ٠ « هارتس » مثلا : « لقد تم شراء السلام المصري الاسرائيلي بالانسحاب من سيناء مما يتيح لنا امكانية توطيد سيطرتنا على الضفة الغربية وقطاع غزة ٠ لقد حققت الصهيونية الدولة بالتوسع ٠ والسلام مع مصر يوطد هذا الانجاز ٠ وعلينا ان نعترف بأن السلام الجزئي ليس سلاما حقيقيا » ٠